بعد طرابلس لا بديل عما كان ضروريًا قبلها

بقلم
بشير البرغوثي

السؤال الهام الذي يشغل بال الفلسطينيه وقواها الوطنيه هو يكون وضع منظمة التحرير بعد من طرابلس.

هذا السؤال يقع في جانب من ضمن السؤال القديم الذي لم جوابا متكاملا حتى الان وهو ماذا خروج من بيروت ؟!

لا اظن احدا يستطيع ان يتجاهل ، يحتفظ بقدر من الموضوعيه ، ان عدم المسؤولة المدروسة لهذا السؤال الخروج من بيروت كان عاملا هاما من الازمة التي تواجهها المنظمة في الحاضر.

ومن هنا فانه لا يجوز ، بعد الان ، الاجوبة المبسطة للاسئلة الخطيرة ضغط الوقائع الجارية ، او بدافع التلقائي وراء الافعال وردود

المهم ، في هذا الصدد ، بتحذيرات سبق ونشرت في هذا بالذات ، وقيلت ايضا على لسان من الفلسطينيين واصدقائهم .

ان اسلوب الحل العسكري لم يحسم بل زادها تعمقا ، ولم يعزز بل وسع شقة الخلاف وحمل مخاطر اكثر مثولا على وحدة منظمة التحرير على مكسب الاعتراف بها تمثيلها للشعب الفلسطيني ، على الحق الوطني الفلسطيني حق تقرير المصير.

وبالمقابل فان حماية هذا المكسب شرعية منظمة التحرير ومؤسساتها الحرص على الوحدة الوطنية وعلى عبر الارتكاز الملتزم بالعلاقات بين اطراف هذه الوحدة.

وما كانت منظمة التحرير لتحظى التي تحتلها في الواقع الفلسطيني والدولي لو لم تكن لها مؤسساتها وكيانها القائم على ارضية الوحدة . ويذكر الجميع كيف ان القوى تطمع في ان تكون بديلا لمنظمة ، والتي ايدت المشاريع الاستسلامية ، كانت هي ذاتها التي تطرح معارضتها للاجماع الفلسطيني ، وتدعو لاتخاذ قرارات بالاغلبية عشية انعقاد الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر.

انذاك كان هدف هذه القوى ، كما هو الان ، تمزيق الوحدة الوطنية للنفاذ من شروخها الى هدفها القديم وهو تركيع منظمة التحرير او الحلول مكانها في تمثيل شعبنا الفلسطيني لتمرير المشاريع الاستسلامية.

لقد فوت المجلس الوطني الفلسطيني والقيادة الفلسطينية على هذه القوى محاولاتها وخرجت منظمة التحرير من مؤتمرها موحدة وبقرارات سليمة لقيت الترحيب الواسع من الشعب الفلسطيني ، وعززت الوحدة الوطنية.

وفي هذا الوقت بالذات ، اي بعد الخروج من طرابلس ، يقتضي الامر المزيد من استلهام الحكمة السياسية التي كانت وراء النجاح في مؤتمر الجزائر.

واذا كان صحيحا وضروريا المحافظة على الشرعية الفلسطينية فانه من الصحيح والضروري كذلك المحافظة على اهم مرتكز لهذه الشرعية وهو الوحدة الوطنية.

ولنا ان نتصور الضرر الكبير بالشرعية اذا ما حدث المحذور الذي اشار اليه رئيس المجلس الوطني الفلسطيني ، خالد الفاهوم ، واجتمع اعضاء من المجلس الوطني الفلسطيني ، حتى لو كانوا اغلبية ، في تونس او الجزائر ، واجتمع اخرون في دمشق واعلنوا عن اقامة منظمة تحرير جديدة !

الضرر واضح بالبداهة ولا يحتاج الى شرح. وليس المقصود بهذا تجميد حركة المؤسسات الشرعية لمنظمة التحرير. فالحاجة ضرورية الى تنشيطها وتفعيل ممارستها لادوارها . ولكن المقصود هو ان تتجنب هذه المؤسسات عمليات فرز او "اخراج" مقابل "الاخراج" وان تتصرف بجهد مثابر وصبر حكيم لتعزيز الوحدة الوطنية باعتبارها قاعدة "الشرعية" الصلبة ومصدر قوتها.

وهنا لا بد من التذكير ثانيا في وضع مختلف عن وضع الدول او الحركات الوطنية التي لا ينازعها احد على هويتها الوطنية المستقلة او على حق تقرير المصير ولم يكن بتضحيات قليلة تمكن منظمة التحرير من البروز كتجسيد لتلك الهوية، وكتعبير عن ذلك الحق. واي انقسام فيها يعني اهدار تلك التضحيات وزيادة خطر تمزيق تلك الهوية غير القابلة ، بالضرورة ، للتمزيق ، انها ليست حكومة حتى تكون حكومة اغلبية، او حكومة ائتلاف وطني حسب الظروف والاعتبارات السياسية المتغيرة . انها تجسيد للشخصية الوطنية بغض النظر عن الملامح المتباينة لهذه الشخصية.

قد يقال ولكن ماذا يمكن عمله بعد كل المساعي والوساطات ، وبعد ان سالت الدماء ـ دماء الاخوة بغزارة ؟

والجواب ماذا يمكن الحصول عليه لو قبلنا بالواقع المرير الذي نواجهه الان ، وجرى التصرف على اساسه ؟

ليس هناك ابدا بديل لوحدة منظمة التحرير اذا ما اردنا الاحتفاظ بالمكاسب التي حققتها . اذا ما اردنا صيانة الاعتراف بحق تقرير المصير وبوجود ممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني، وبهوية واحدة لا يمكن تجسيدها الا في اطار واحد.

نخرج من هذا الى القول بعدم الحاجة الى اتخاذ اجراءات تنظيمية تكرس الانقسام القائم من مثل دعوة المجلس الوطني الفلسطيني في وقت قريب ، وقبل اتفاق مختلف الاطراف ، وبضرورة استمرار منظمة التحرير ومؤسساتها الشرعية في العمل بصورة طبيعية ، كما كان الحال قبل وصول ياسر عرفات الى طرابلس على ان يقترن ذلك بجهد حثيث للوصول الى صيغة اتفاق مع المعارضة ومع سوريا. لانه بدون ذلك يبقى خطر قيام منظمة التحرير اخرى في سوريا قائما.

ليس هذا ، الاتفاق بالامر المستحيل، ففي عام ١٩٧٦ كان هناك خلافا، وكان هناك قتال، وكانت هناك منظمات فلسطينية وقفت في الجانب المواجه لمنظمة التحرير ، ورغم ذلك توصل الجميع ، في وقت لاحق، الى اتفاق.

صحيح ان الوضع يختلف الان، ولكن هذا الاختلاف ، الناشئ عن الانقسام في داخل حركة فتح يزيد الحاجة الى بذل جهود مضاعفة للوصول الى اتفاق. مثلما يزيد ذلك خطر العدوان الاميركي الاسرائيلي على قوى حركة التحرر العربية وبالذات على سوريا ومنظمة التحرير والحركة الوطنية اللبنانية.

ان اهداف الهجمة الامبريالية واضحة، وفي حالة نجاح الاعداء في تحقيق اهدافهم التي لا يعرقلها الا وحدة القوى المستهدفة بتلك الهجمة ، فسيكون الشعب الفلسطيني هو الخاسر الان . وبالتالي فانه صاحب المصلحة الاكبر في تحقيق تلك الوحدة والتغلب على معرقلاتها.

ان هناك مسؤولية تاريخيه تقع على عاتق القوى والشخصيات من اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني ومن خارجه ، وفي الاراضي المحتلة ، ممن ليسوا طرفا مباشرا في الخلافات ، للقيام بدور فعال في سد الطريق امام خطر انقسام منظمة التحرير، والمساعدة في التوصل الى اتفاق يضمن وحدة منظمة التحرير واستقلالها ، وقيام علاقة كفاحية متينة بينها وبين سوريا والحركة الوطنية اللبنانية ، وفي نفس الوقت وضع خطة عمل تناسب الظروف الجديدة وتتضمن الاصلاحات الديمقراطية اللازمة لتنفيذ هذه الخطة على قاعدة الوحدة الوطنية.

رأي مراقب مجلة "الأزمنة الحديثة" السوفييتية

النزاع الفلسطيني الداخلي

تحت هذا العنوان كتب ... فولسكي في عدد الاسبوع ... من هذا الشهر من مجلة ... الحديثة التعليق التالي :ـ

اتفاقية وقف اطلاق النار في ... طرابلس في الشمال اللبناني رغم انه ثبت ان ليس من ... فرضها الا انها ذات ... جوهرية. خاصة اذا ما ... بعين الاعتبار انها انجزت ... العربية السعودية وسوريا ... تمثلان اكثر قوتين تاثيرا ... العالم العربي ـ الملكيات ... الغنية بالنفط، وانصار ... التقدمي المعادي ... الامبريالية.

هذا التعاون فرضه منطق الحياة ... نفس المنطق السياسي الذي ... معه اقتتال الاخوة الذي ... الشمال اللبناني، طيلة شهر ... ثاني.

كان الوضع ماساويا بصفة خاصة ... الاقتتال هذه المرة لم يكن ... الوطنيين اللبنانيين ... من جهة والغزاة ... من جهة اخرى ، ... بين المجموعات ... والطائفية اللبنانية . ولكن بين مجموعات المقاومة الفلسطينية ان الاختلافات القديمه داخل الحركة الفلسطينية والاقتتال بالسلاح كان غير طبيعي بقدر ما كان عديم المعنى.

حقا هل يمكن ان تكون القوة هي الحكم حينما يكون موضوع الخلاف اية اساليب عسكرية او سياسية هي الافضل لمواجهة التوسع الاسرائيلي ؟ حينما يكون من الواضح ان الجمع بينهما امر اساسي.

مع ذلك فبالاستناد الى تصريحات الطرفين المتنافسين يمكن القول ان النزاع كان بالضبط حول هذه القضية ، وكذلك حول ما اذا كان على الحركة الفلسطينية ان تحتفظ باستقلالها او تتعاون مع البلدان العربية التقدمية ، رغم ان احدهما لا ينفي الاخر.

ان هذا واضح لجميع اصدقاء الشعب الفلسطيني. وعلى سبيل المثال جرى اثناء المحادثات التي اجراها وفد منظمة التحرير في موسكو في اواخر تشرين الثاني التاكيد على ضرورة بقاء منظمة التحرير عاملا نشطا في العداء للامبريالية ، وعلى ان وزنها سيزيد بقدر ما تزداد وحدة كل اطراف الحركة الفلسطينية ، وبقدر ما تزيد من توثيق تعاونها مع القوى الوطنية في العالم العربي ، وبشكل رئيسي مع سوريا ، التي تقف بحزم ضد خطط المعتدين.

ان هذا التعاون قد اصبح اكثر ضرورة طالما ان خطط المعتدين الاسرائيليين ومسانديهم الاميركيين وحلفائهم قد تجاوزت مرحلة التخطيط.

لقد اعادت القوات الاسرائيلية في جنوب لبنان تجميع نفسها واصبحت جاهزة في اية لحظة لتوجيه ضربة للفصائل المسلحة للقوى الوطنية اللبنانية ، وللقوة السورية في منطقة البقاع ، وفي النهاية داخل سوريا نفسها. وهناك قوة بحرية اميركية ضخمة متمركزة بمحاذاة الشاطئ اللبناني جاهزة لمساندة الجيش الاسرائيلي.

في هذه الظروف لا يؤدي الصراع الداخلي في الحركة الفلسطينية فقط الى الحاق الضرر بمواقع هذه الحركة ، بل يعرقل ايضا تشكيل جبهة عربية شاملة لصد جولة العدوان الجديدة التي تنذر بانها لن تكون مجرد عملية اسرائيلية ، بل عملية اسرائيلية اميركية وربما اطلسية. والتهديد ليس موجها للفلسطينيين وحدهم حيث يريد اصحاب التهديد ادامة وضعهم العبودي ، ولا ضد لبنان وسوريا وحدهما !

ان مصيرا لا يختلف عن مصير الفلسطينيين هو الذي يهيأ لكل العالم العربي . ولا يستثنى من ذلك حتى البلدان الغنية بالنفط. وعلى العكس من ذلك فان السيطرة على هذه البلدان بالذات هي التي تعطي صفة الاولوية. ولم يكن من قبيل الصدفة ان تظهر جنبا الى جنب مع الاستعدادات الحربية في البحر المتوسط دلائل خطيرة ومتزايدة لاستعدادات للتدخل من قبل قوات الانتشار السريع الاميركية في بلدان الخليج الغنية بالنفط. ويتحدث اميرالات اميركا بصراحة عن "عمل حاسم" في تلك المنطقة.

واكثر من ذلك فان الخطر الجاثم فوق الشرق الاوسط ليس له سابقة في تاريخ المنطقة الطويل. لقد كانت هناك غزوات وفتوحات استعمارية. ولكن لم يكن هناك ابدا، وما كان يمكن ان يكون ، صواريخ نووية موجهة الى المنطقة وقادرة على ازالة كل اشكال الحياة. هذه هي صواريخ بيرشينغ وكروز التي بدأت الولايات المتحدة في تركيبها في اوروبا الغربية. انها ليست موجهة فقط الى بلدان المنظومة الاشتراكية ، ولكن ايضا الى افريقيا الشمالية ومنطقة الخليج. وتحت هذه المظلة تجري الاستعدادات لتدخلات عسكرية جديدة.

في وجه مثل هذا التهديد المضاعف ينبغي الا يكون هناك مجال لنزاع سياسي داخلي، ناهيك عن تصادم في الطموحات الشخصية ، يجب ان لا يكون هناك مجال لكل هذا الذي كان الشرق الاوسط بشكل خاص معرضا له لاسباب تاريخية والذي لم تستطع الحركة الفلسطينية تجنبه ايضا.

ان من المامول فيه ان يستخلص الفلسطينيون درسا، وهو درس مرير ولكنه ضروري، من الاحداث المأساوية الاخيرة في طرابلس. وليس فقط الفلسطينيون وحدهم الذين يجب ان يستخلصوا هذا الدرس بل كل العرب ، كل الشعوب الواقعة تحت مرمى بندقية ريغان.